كتيب

جواهر الفوائد

لـ ابن القيّم -رحمه الله-

جمع وتنسيق: جواهر المطيري

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



الاهداء

إلى كل قارئ نَهِم
يقرأ ليرقى وينفع نفسه وأمته
إلى زوّار مدونتي الرائعين
إلى روّاد منتدى وطن القرّاء الراقين
إلى كل منتسب لمنتدى ثقافي علمي
أهديكم هذا الكتيب

جواهر

نسخة مهداة إلى:

....

....

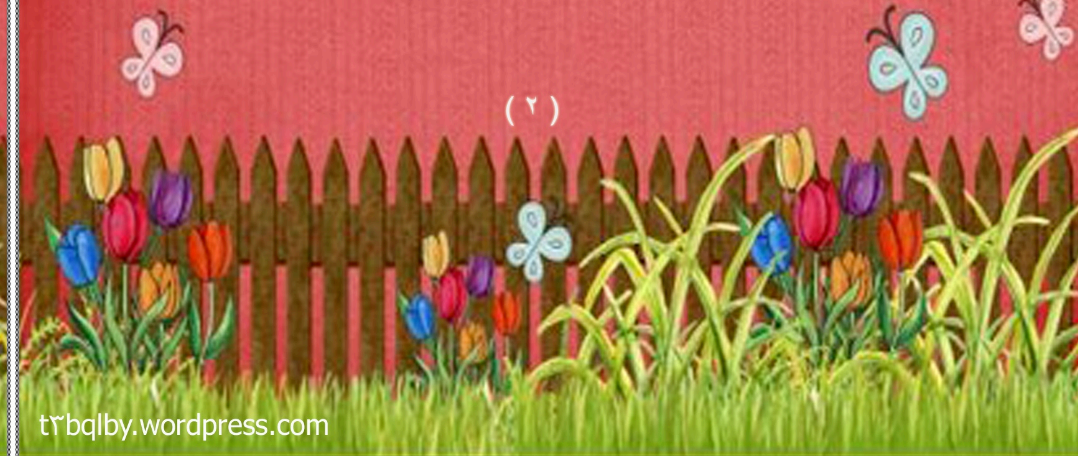
المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد أشرف الخلق وسيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

دأب العلماء على جمع مايستحسنونه -مماطالعوه في كتاب او استفادوه من جليس أو تلقوه من شيخ- في مجموع غير موحّد الموضوع لكن عميم الفائدة، وأهمية هذه المجاميع إضافة إلى قيمتها العلمية تكمن في كونها زاداً خفيف الحمل عميم النفع، يتنقل فيه المطالع من مبحث إلى آخر دون مظنّة ملل أو صارف من إطناب.

ومن جملة هذه الكتب التي ذاع صيتها وفاح أريجها كتاب (الفوائد) للإمام الشيخ ابن القيّم الجوزية، وهو على صغر حجمه حوى مطالب عالية يندر وجودها مجتمعة في مصنّف واحد.

محقق النسخة
محمد الفاضلي



ابن القيم في سطور

هوَمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزرّعي من عائلة دمشقية عرفت بالعلم والالتزام بالدين و اشتهر بابن قيم الجوزية, وقيم الجوزية هو والده فقد كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق, ولد في السابع من شهر صفر لعام ٦٩١ه الموافق ٢ فبراير ١٢٩٢م, توفي ليلة الخميس ١٣/٧/٧٥١هـ ١٣٤٩م في سوريا عن عمر ستون سنة,وصلى عليه في الجامع الأموي بدمشق ثم بجامع جراح وأزدحم الناس للصلاة عليه. درس على يد ابن تيمية الدمشقي وتأثر به, تتلمذ على يديه الإمام الحافظ ابن كثير والإمام الحافظ الذهبي وابن رجب والفيروزآبادي صاحب القاموس.

مؤلفاته بلغت ٩٨ مؤلفا ومنها:الصواعق المرسلة, زاد المعاد,مدارج السالكين إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان,الجواب الكافي.

قال عنه ابن كثير:"لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادةمنه وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا، ويمد ركوعها وسجودها، و يلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك»

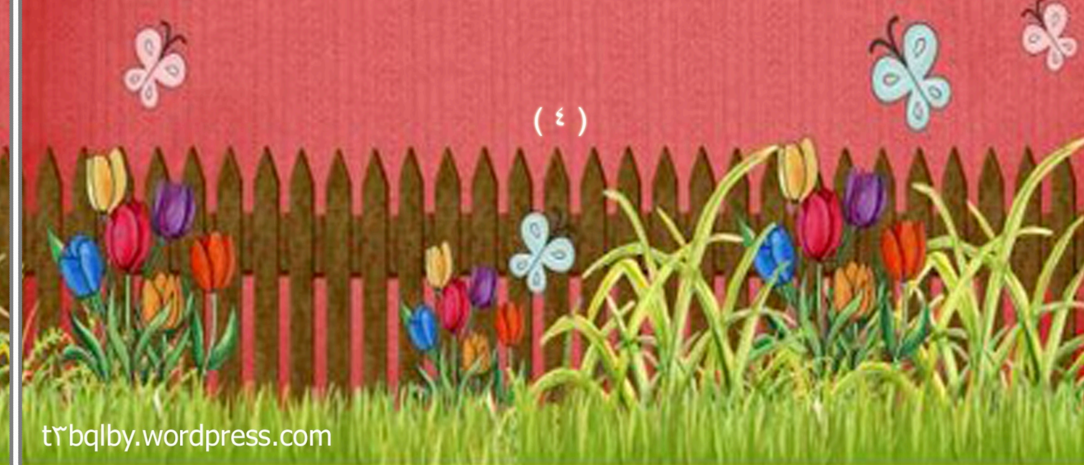


١) إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألْقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه وإليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله . قال تعالى:«إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» ق:٣٧ .

٢) ماأخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالأبصار، وفى الدنيا بالبصائر -البصائر: من البصيرة وهي التعقل والفطنة والانتباه- .

٣) المكروه الوارد على القلب: إن كان من أمر ماضٍ أحدث الحزن, و إن كان من مستقبل أحدث الهمّ, وإن كان أمر حاضر أحدث الغمّ.

٤) إذا امتلأ القلبُ بالشُّغل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفعُ؛لم يبقى فيها موضع للشُّغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه, وسرُّ ذلك أن إصغاء القلب كإصغاء الأُذن: فإذاَ أَصغى إلَى غير حَديث الله لم يبْقَ فيه إصغاءٌ ولا فهمٌ لَحديثه، كما إذا مال إلى غير محبة الله؛ لم يبقَ فيه ميل إلى محبته فإذا نطَقَ القلبُ بغير ذكره لم يبْقَ فيه محلٌّ للنُّطق بذكره كاللسان. وَإذا امتلأَ القلبُ بذلك؛ جاءتْهُ حقائقُ القرآن والعلم الذيَ به كمالُهُ وسعادته، فلم تجد فيه فراغاً لها ولا قبولاً، فَتعدّتْهُ



وجاوزته إلي محلّ سواهُ.

٦) للعبد ربٌّ هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه؛ فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

٧) الدنيا من أولها إلى آخرها لاتساوي غم ساعة فكيف بغم العمر؟!

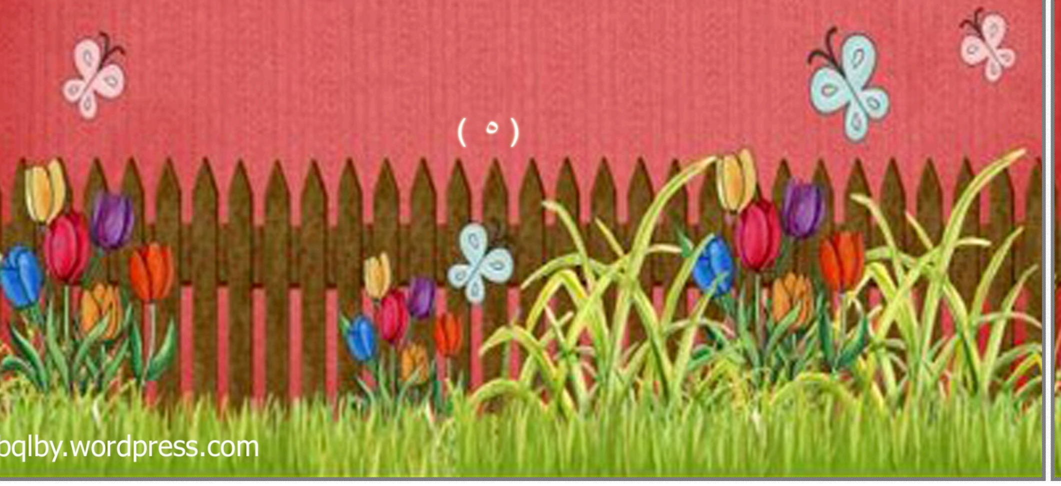
٨) المخلوق إذا خفته استوحشت منه، وهربت منه، والرب - تعالى - إذا خفته أنست به، وقربت إليه.

٩) كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة !

١٠) لو نفعَ العلم بلا عمل لما ذمّ الله سبحانه أحبار أهل الكتاب,و لو نفعَ العمل بلا إخلاص لما ذمّ المنافقين.

١١) مَن خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره, ومن خلقه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات.

١٢) أرض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها، فإن غرست شجرة الإيمان والتقوى أورثت حلاوة الأبدان، وإن غرست شجرة الجهل والهوى فكل الثمر مر.



١٣)ليس العجب من مملوك يتذلل لله، ولا يمل خدمته مع حاجته و فقره؛ فذلك هو الأصل. إنما العجب من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف إنعامه، ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه.

١٤)يا آدم لاتجزع من قولي لك:«اخرج منها»فلك ولصالح ذريتك خلقتها.

١٥)الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل.

١٦)لا بدَّ من سنة الغفلة ورقاد الهوى، ولكن كن خفيف النوم،فحراس البلد يصيحون : دنا الصباح .

١٧)قيل للحسن:سبقنا القوم على خيل دهم -سوداء- ونحن على حمر معقرة-مجروحة- فقال:إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم.

١٨)المحب لا يرى طول الطريق لأن المقصود يعينه.

١٩)مامضى من الدنيا أحلام,ومابقي منها أماني,والوقت ضائع بينهما.

٢٠)اشترِ نفسك اليوم؛ فإن السوقَ قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصل فيه إلى قليل، ولا كثير«ذلك يوم التغابن», «يوم يعض الظالم على يديه» .



٢١)العمل بغير إخلاص ولا إقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه.

٢٢)من تلمّح حلاوة العافيةِ هانت عليه مرارة الصبر.

٢٣)إنما تفاوت القوم بالهمَم لا بالصوَر.

٢٤)بينك وبين الفائزين جبلَ الهوى,نزلوا بين يديه ونزلتَ خلفه,فاطوِ فصلَ منزل تلحق بالقوم.

٢٥)الدنيا مضمار سباق, وقد انعقد الغبار وخفيَ السابق, والناس في المضمار بين فارس وراجل وأصحاب حمر معقَرة-مجروحة-.

٢٦)غرس الخلوة يثمر الأنس.

٢٧)الدنيا مجاز, والآخرة وطن, والأوطار -الحاجات- إنما تطلب في الأوطان.

٢٨)كل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس.

٢٩)من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها من عيوب الناس, من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه.



٣٠) جمع النبي - صلى الله عليه وسلم - بين تقوى الله، وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه؛ فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

٣١) فرّغ خاطرك للهمّ بما أُمرتَ به ولا تشغله بما ضُمنَ لك، فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان. فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً. وإذا سد عليك بحكمته طريقاً من طرقه فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه.

٣٢) أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص وعن نفسك بشهود المنة، فلا ترى فيه نفسك ولا ترى الخلق.

٣٣) دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكا في دين الله, وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته, وباب غضب أورث العدوان على خلقه.

٣٤) لله ملك السموات والأرض، واستقرض منك حبة فبخلت بها، وخلق سبعة أبحر وأحب منك دمعة فقحطت عينك بها.

٣٥) يا لها بصيرة عمياء، جزعت من صبر ساعة واحتملت ذل الأبد ! سافرت في طلب الدنيا وهي عنها زائلة، وقعدت عن السفر إلى الآخرة وهي إليها راحلة ؟! .

٣٦) إطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور والقلب كعبة والمعبود لا يرضى بمزاحمة الأصنام.

٣٧) المعرفة بساط لا يطأ عليه إلا مقرب، والمحبة نشيد لايطرب عليه إلا محب مغرم.

٣٨) الحب غدير في صحراء ليست عليه جادة، فلهذا قل وارده.

٣٩) المحب يهرب إلى العزلة والخلوة بمحبوبه والأنس بذكره كهرب الحوت إلى الماء والطفل إلى أمه.

٤٠) احذر نفسك، فما أصابك بلاء قط إلا منها، ولا تهادنها، فوالله ما أكرمها من لم يهنها، ولا أعزها من لم يذلها، ولا جبرها من لم يكسرها، ولا أراحها من لم يتعبها، ولا أمنها من لم يخوفها، ولا فرحها من لم يحزنها.

٤١) قال رجل لمعروف: علمني المحبة، فقال: المحبة لا تجيء بالتعليم.

٤٢)ليس العجب من قوله يحبونه، إنما العجب من قوله يحبهم.

٤٣)ليس العجب من فقير مسكين يحب محسناً إليه، إنما العجب من محسن يحب فقيراً مسكيناً.

٤٤)في النفس: كِبر إبليس وحسد قابيل وعتو عاد وطغيان ثمود وجرأة نمرود واستطالة فرعون وبغي قارون وقِحة هامان وهوى بلعام وحيل أصحاب السبت وتمرد الوليد وجهل أبي جهل.

وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب وشره الكلب ورعونة الطاووس ودناءة الجعل وعقوق الضب وحقد الجمل ووثوب الفهد وصولة الأسد و فسوق الفأرة وخبث الحية وعبث القرد وجمع النملة ومكر الثعلب و خفة الفراش ونوم الضبع، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك.

٤٥)لو صحت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرك بالحبيب. واعجبا لمن يدعى المحبة ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبة، فلا يذكره إلا بمذكر. أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب.

٤٦)من استطال الطريق ضَعُف مشيه.

٤٧)من لاح له حال الآخرة هان عليه فراق الدنيا.

٤٨)تذكر حلاوة الوصال يهن عليك مر المجاهدة.

٤٩)جُمعَ فيك عقل الملك وشهوة البهيمة وهوى الشيطان وأنت للغالب عَليك من الثلاثة: إن غلبت شهوتك وهواك زدت على مرتبة ملك، وإن غلبك هواك وشهوتك نقصت عن مرتبة كلب.

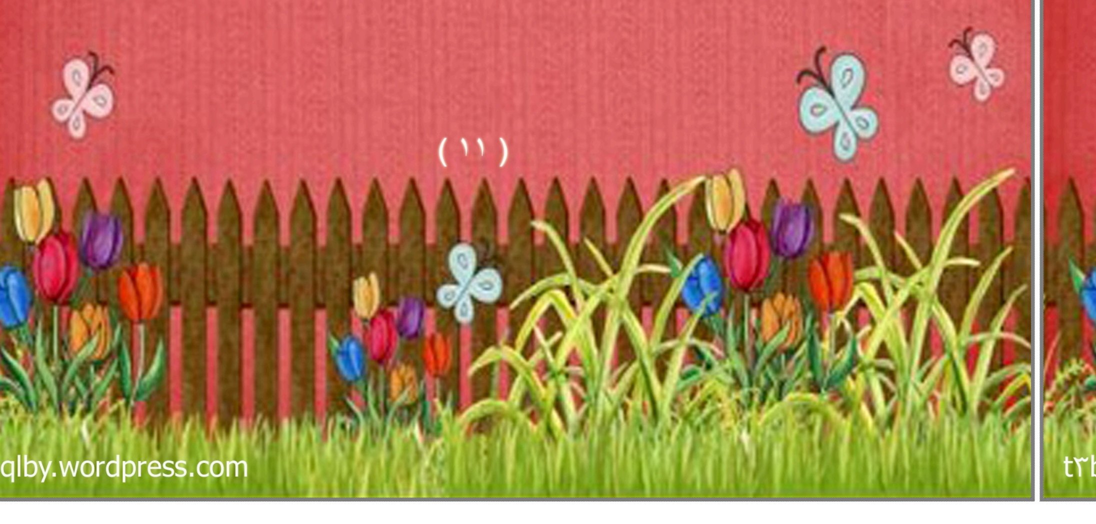
٥٠)أصول المعاصي كلها كبارها و صغارها ثلاثة: تعلق القلب بغير الله، و طاعة القوة الغضبية، و القوة الشهوانية، و هي الشرك و الظلم والفواحش.

فغاية التعلق بغير الله شرك و أن يدعى معه إله آخر وغاية طاعة القوة الغضبية القتل، وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: «والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر و لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق و لا يزنون» الفرقان:٦٨.

٥١) عَلى قدر نيّة العبد و همَته و مُراده و رغبته يكونْ توْفيقْ الله لَهُ وَ إعَانته فَالمَعُونَة منْ الله تنزَلْ عَلى العبَادْ عَلى قدْر هممهمْ.

٥٢) ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عَن الله.

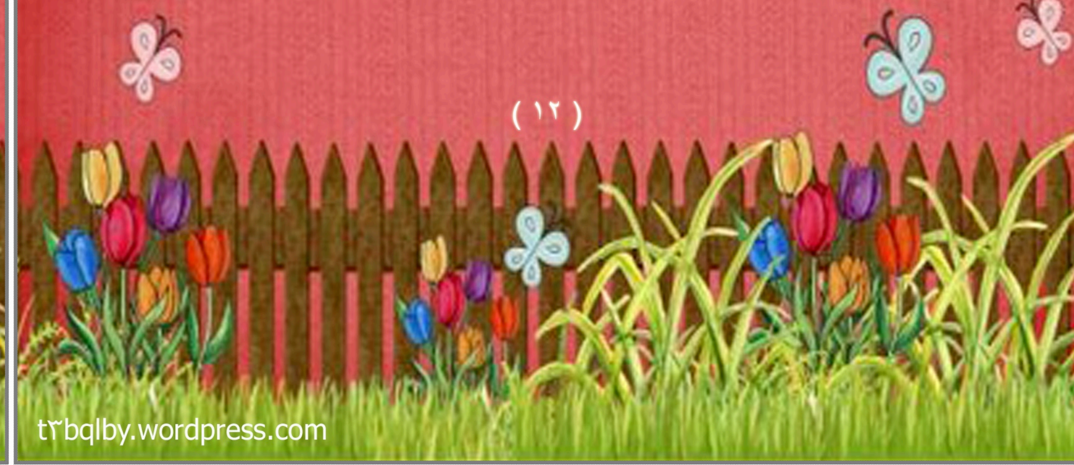
٥٣)خلقت النار؛ لإذابة القلوب القاسية.



٥٤)هجر القرآن أنواع: أحدها هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه, والثاني:هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه و آمن به, والثالث:هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم, والرابع: هجر تدبره وتفهمه, والخامس: هجر الاستشفاء و التداوي به, وكل هذا داخل في قوله:«وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » الفرقان:٣٠ , وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.

٥٥)اذا أصبح العبد وأمسي وليس همه الا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها وحمل عنه كل ما أهمه وفرغ قلبه لمحبته و لسانه لذكره وجوارحه لطاعته, وان أصبح وأمسي والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله الى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم.

٥٦)الجَاهل يَشكو إلى الناس, وهَذاَ غاية الجهَل بالمَشكو والمَشكو إليه فإنه لَو عَرَف ربه لمَا شكاه,و لو عرَف الناس لمَا شكا إليهم والعارف



إنمَا يَشكو إلى الله وحده, و أعرف العارفين مَـن جَعلَ شَكواه إلى الله مِـن نفسه لاَ مِـن النَاس, فهـوَ ناظرٌ إلى قولـه تعالَى: « مَا أصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ » النساء:٧٩, فالمَراتب ثلاثة: أخسّها أن تشكوَ الله إلى خَلقه, وأعلاهَا أن تشكو نفسك إلى الله وأوسطها أن تشكو خلقه إليه.

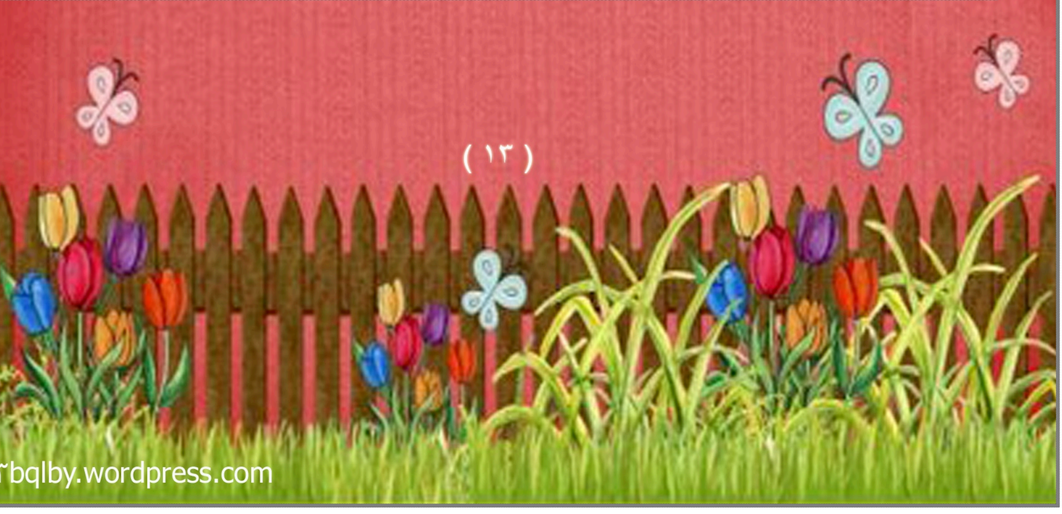
٥٧)الرضا جنة الدنيا ومستراح العارفين، فإنه طيب النفس بما يجري عليه من المقادير التي هي عين اختيار الله له، وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية، وهذا هو الرضا بالله ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. وما ذاق طعم الإيمان من لم يحصل له ذلك، وهذا الرضا هو بحسب معرفته بعدل الله وحكمته ورحمته وحسن اختياره. فكلما كان بذلك أعرف كان به أرضى.

٥٨)أساس كل خير أن تعلم أن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٥٩)أبعد القلوب عن الله القلب القاسي.

٦٠) إذا قسا القلب قحطت العين.

٦١) القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها.



٦٢)قسوة القلب من أربعة أشياء، إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، و النوم، والكلام، والمخالطة.

٦٣)خرابُ القلب من الأمن والغفلة، وعمارتُه من الخشية والذكر.

٦٤)الْقَلْبَ يَمْرَضْ كَمَا يَمْرَضْ الْبَدَن، وَشِفَاؤُهُ فِي التَّوْبَة وَالْحَمِيَّة وَيصْدَأُ كَمَا تَصْدَأُ الْمِرْآة، وَ جَلَاؤُهُ بِالْذِّكْر وَ يُعَرّى كَمَا يَعْرَى الْجِسْم، وَزِيْنَتُهُ التَّقْوى وَيُجَوَّعُ وَيظْمَأُ كَمَا يَجُوْعُ الْبدَنِ وَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ الْمَعْرِفَة، و التَّوكُّل، و الْمَحَبَّة،و الإِنَابَةَ .

٦٥)الرضا سكونَ القلبِ تحت مجاري الاحكام.

٦٦)الإخلاص هو مالا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا يعجب به صاحبه فيبطله.

٦٧)للقلبِ ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة، و ثلاثة عالية؛ فالسافلة دنيا تتزين له، ونفس تحدثه، و عدوٌ يوسوس له؛فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها. والثلاثة العالية علم يتبين له، وعقل يرشده، و إله يعبده، والقلوب جوالة في هذه المواطن.

٦٨)من اشتغل بالله عن نفسه كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل



بالله عن الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن اشتغل بنفسه عن الله وكله الله إلى نفسه، و من اشتغل بالناس عن الله وكله الله إليهم.

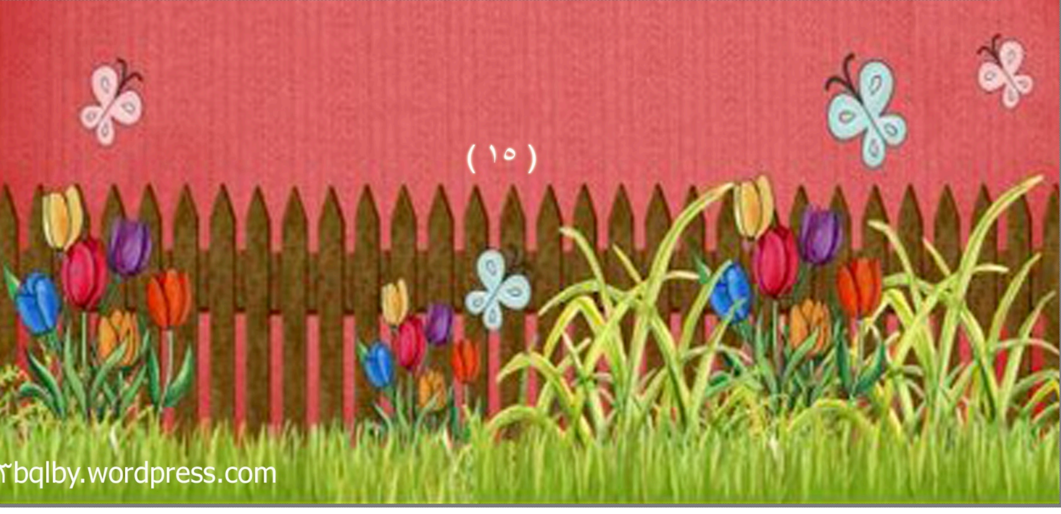
٦٩)أغبى الناس من ضل في آخر سفره وقد قارب المنزل.

٧٠)أقرب الوسائل إلى الله ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن ودوام الافتقار إلى الله وإرادة وجهه وحده بالأقوال و الأفعال، وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة وما انقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها.

٧١)إذا مات القلب لم يشعر بمعصيته.

٧٢) علامة صحة الإرادة أن يكون هم المريد رضا ربه واستعداده للقائه وحزنه على وقت مر في غير مرضاته وأسفه على قربة والأنس به, وجماع ذلك أن يصبح ويمسي وليس له هم غيره.

٧٣) الفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، و الورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة . والقلب المعلق بالشهوات لا يصلح له زهد ولا ورع.

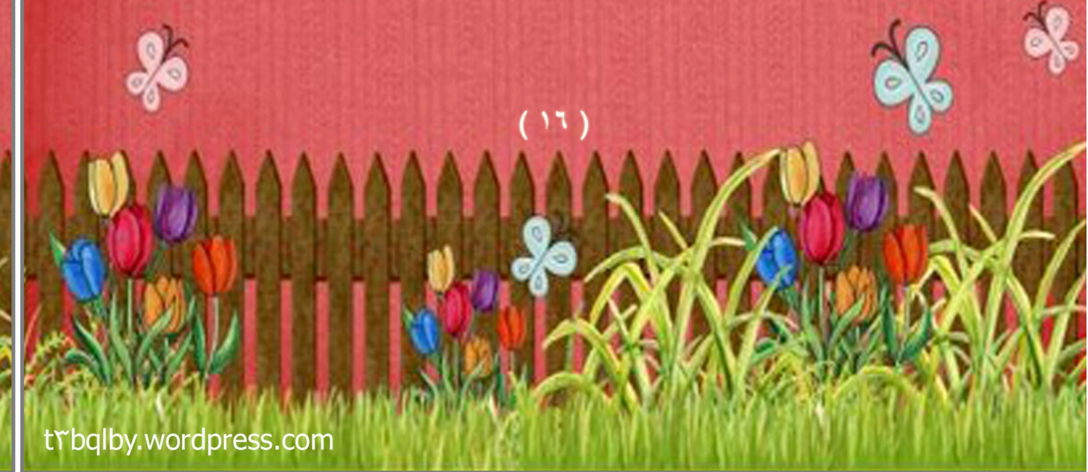


٧٤)ما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالترك والامتناع و العزم والنية ، وليس للجوارح في هذين نصب ولا تعب ، ولكن الشأن في عمرك هو وقتك الذي بين الوقتين ، فإن أضعته أضعت سعادتك و نجاتك ، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين الذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم . وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده ، فإن حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها وأعظم تحصيلاً لسعادتها.

٧٥)إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله ، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله ، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله ، وإذا تعرفوا على ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة و الرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة.

٧٦)قال بعض الزهاد: كن في الدنيا كالنحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن أطعمت أطعمت طيباً وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه.

٧٧)الذكر للقلب واللسان ، والشكر للقلب محبة وإنابة ، وللسان ثناء وحمد، وللجوارح طاعة وخدمة.

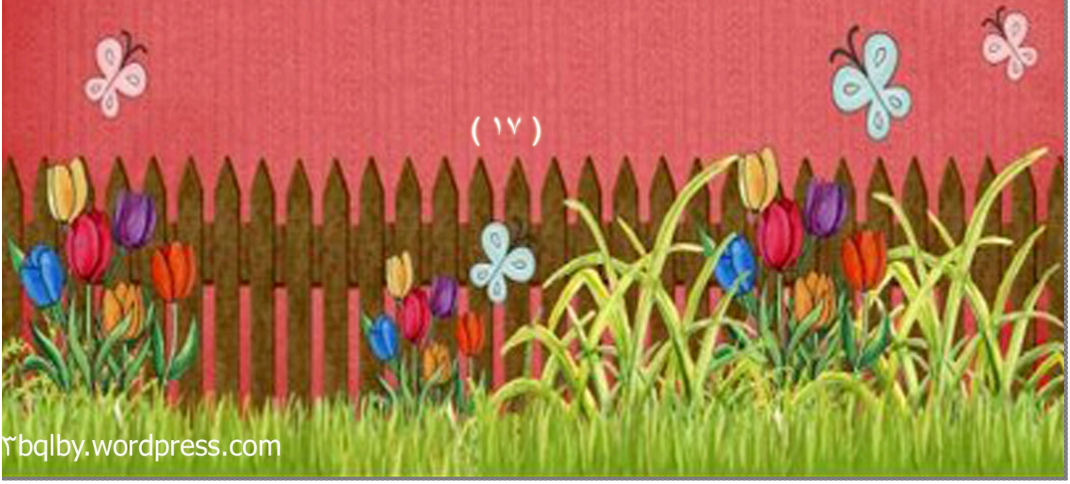


٧٨)الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ, ففوق هدايته هداية اخرى وفوق تلك الهداية هداية اخرى الى غير غاية, فكلما اتقى العبد ربه ارتقى الى هداية اخرى فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى, وكلما فوت حظاً من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه فكلما اتقى زاد هداه وكلما اهتدى زادت تقواه يقول تعالى:
« وَ يزيد الله الذين اهتدوا هدىً » مريم ٧٦ .

٧٩)قال تعالى: «وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» البقرة ٢١٦, إن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، و المحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب، فان الله يعلم منها مالا يعلمه العبد.

٨٠)لو رضي العبد باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه.

٨١)من علت همته وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل ، ومن دنت همته وطغت نفسه اتصف بكل خلق رذيل.

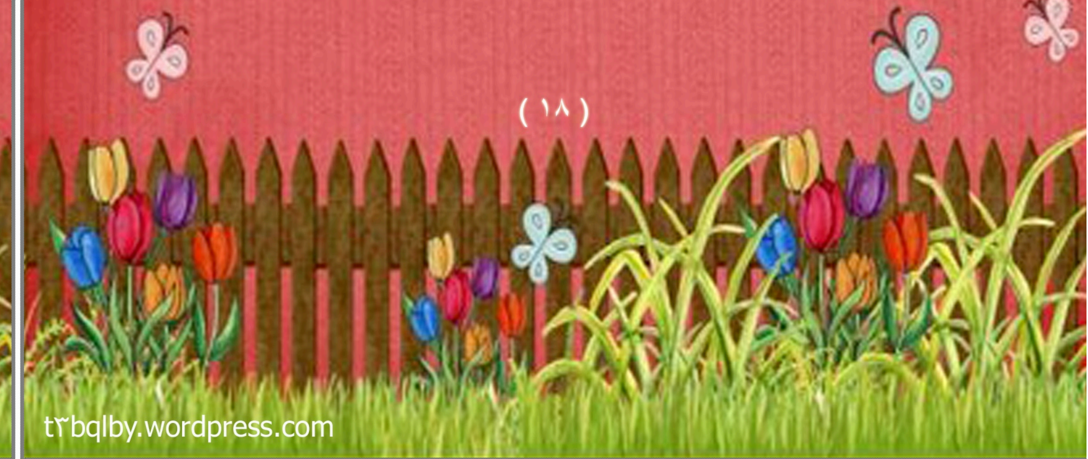


٨٢)لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت .

٨٣)السنة شجرة والشهور فروعها والأيام أغصانها والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها . فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل. وإنما يكون الجداد -جنيّ الثمار- يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها.

٨٤)أول مراتب سعادة العبد أن تكون له أذن واعية ، وقلب يعقل ما تعيه الأذن.

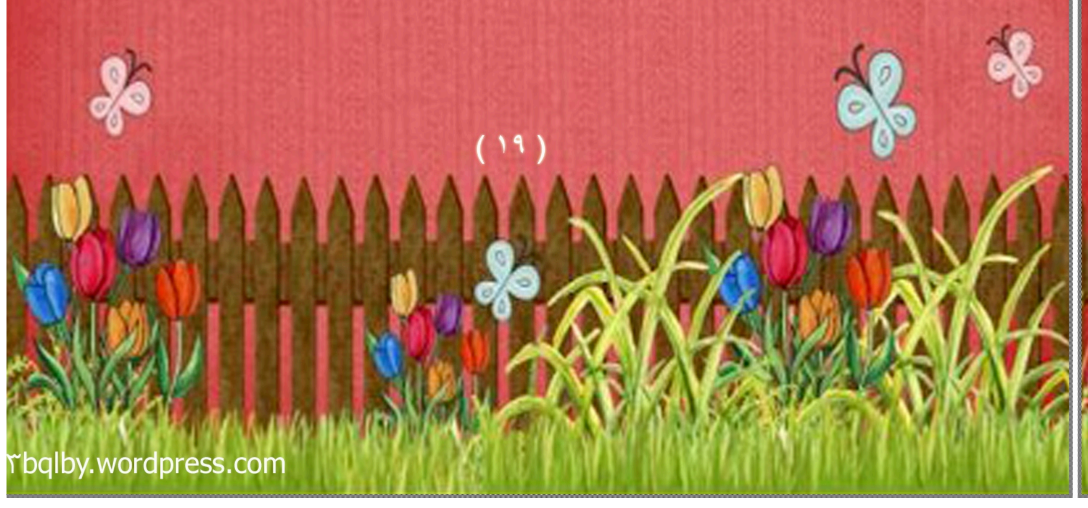
٨٥) خلق بدن ابن آدم من الأرض وروحه من ملكوت السماء وقرن بينهما. فإذا أجاع بدنه و أسهره وأقامه في الخدمة وجدت روحه خفة وراحة فتاقت إلى الموضع الذي خُلقت منه، واشتاقت إلى عالمها العلوي. وإذا أشبعه ونعمه ونومه واشتَغل بخدمته وراحته، أخلد البدن إلى الموضع الذي خلق منه فانجذبت الروح معه فصارت في السجن. فلولا أنها ألفت السجن لاستغاثت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالمها الذي خلقت منه كما يستغيث المعذَّب.



٨٦) العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدرون على تركها, ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يقم الفريضة!

٨٧) المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال ومواساة بالجاه و مواساة بالبدن والخدمة ومواساة بالنصيحة والإرشاد ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم ومواساة بالتوجع لهم وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة,فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة ، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له.

٨٨) النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها ، ونعمة هو فيها لا يشعر بها, ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد، فقال : يا أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها, فأعجبه ذلك منه وقال: ما أحسن تقسيمه.

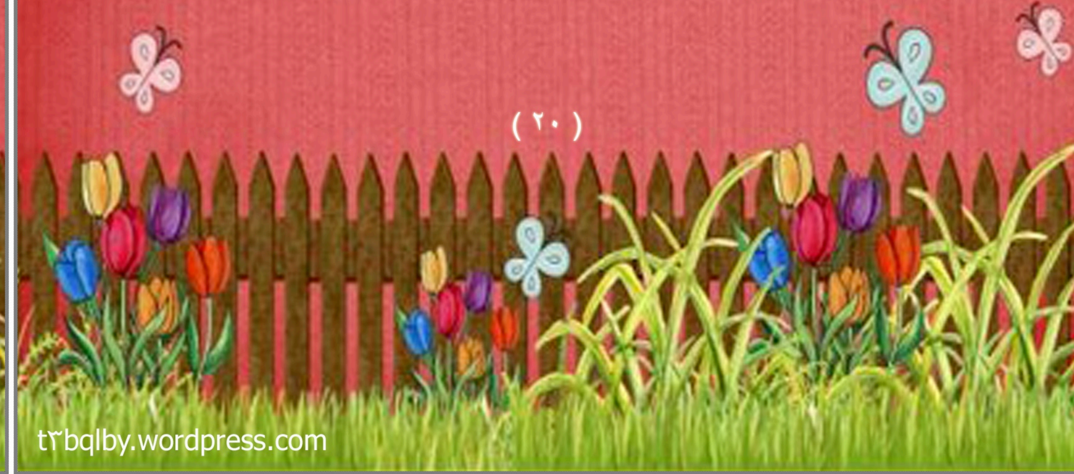


٨٩)اعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر. فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل، فتستحكم فتصير عادة، فردها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها.

٩٠)خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولابد لها من شيء تطحنه ، فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره ، وأكثرهم يطحن رملاً وحصىً وتبناً ونحو ذلك فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه.

٩١) النفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها و أحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار.

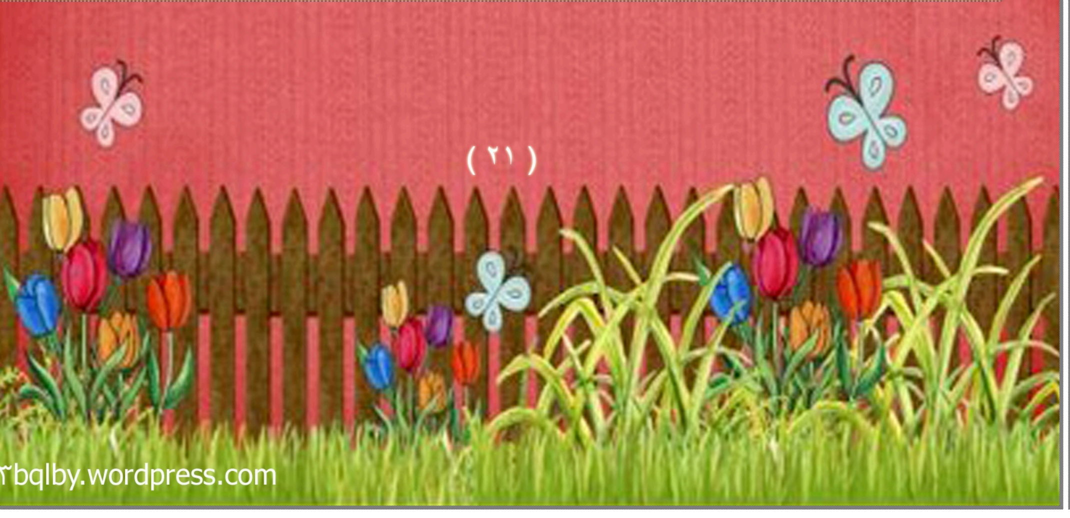
٩٢) العارف في الأرض ريحانة من رياحين الجنة، إذا شمها المريد اشتاقت نفسه إلى الجنة .



٩٣) من الآفات الخفية العامة أن يكون العبد في نعمة أنعم الله بها عليه واختارها له، فيملها ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم لجهله أنه خير له منها، وربه برحمته لا يخرجه من تلك النعمة، ويعذره بجهله وسوء اختياره لنفسه، حتى إذا ضاق ذرعاً بتلك النعمة و سخطها وتبرم بها واستحكم مللـه لها سلبه الله إياها . فإذا انتقل إلى ما طلبه ورأى التفاوت بين ما كان فيه وما صار إليه، اشتد قلقه وندمه وطلب العودة إلى ما كان فيه، فإذا أراد الله بعبده خيراً و رشداً أشهده أن ما هو فيه نعمة من نعمة عليه ورضاه به وأوزعه شكره عليه، فإذا حدثته نفسه بالانتقال عنه استخار ربه استخارة جاهل بمصلحته عاجز عنها، مفوض إلى الله طالب منه حسن اختياره له.

٩٤) قلب المحب موضوع بين جلال محبوبه وجماله فإذا لاحظ جلاله هابه وعظمه ، وإذا لاحظ جماله أحبه واشتاق إليه.

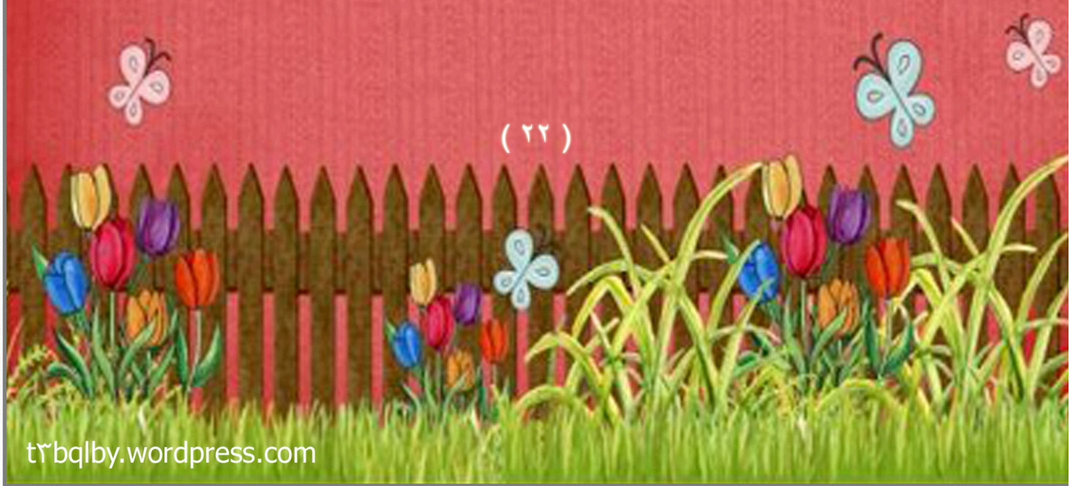
٩٥) أفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده.



٩٦) الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم، فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود . وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه. فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه، والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه. فإن كثيرا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك, وأما ما لا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين.

٩٧) من صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره. وهذا الصدق معنى يلتئم من صحة الإخلاص وصدق التوكل، فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله.

٩٨) من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره ، قال تعالى: «ما لكم لا



ترجون لله وقاراً» نوح :١٣.

٩٩) الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين ، وليس لهم حط عن رحالهم إلا في الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار. ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر.

١٠٠) كل ذي لبّ يعلم أنه لاطريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات أحدها: التزيد والإسراف، فيزيد على قدر الحاجة فتصير فضلة وهي حظ الشيطان ومدخله إلى القلب، وطريق الخلاص منه الاحتراز من إعطاء النفس تمام مطلوبها. فمتى أغلقت هذا الباب حصل الأمان من دخول العدو منه, الثانية: الغفلة ، فإن الذاكر في حصن الذكر، فمتى غفل فتح باب الحصن فولجه العدو فيعسر عليه أو يصعب إخراجه, الثالثة: تكلف مالا يعنيه من جميع الأشياء.

١٠١) حسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار إليه، فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء. والخشية لقاح المحبة ، فإذا اجتمعا أثمرا امتثال الأوامر واجتناب المناهي.



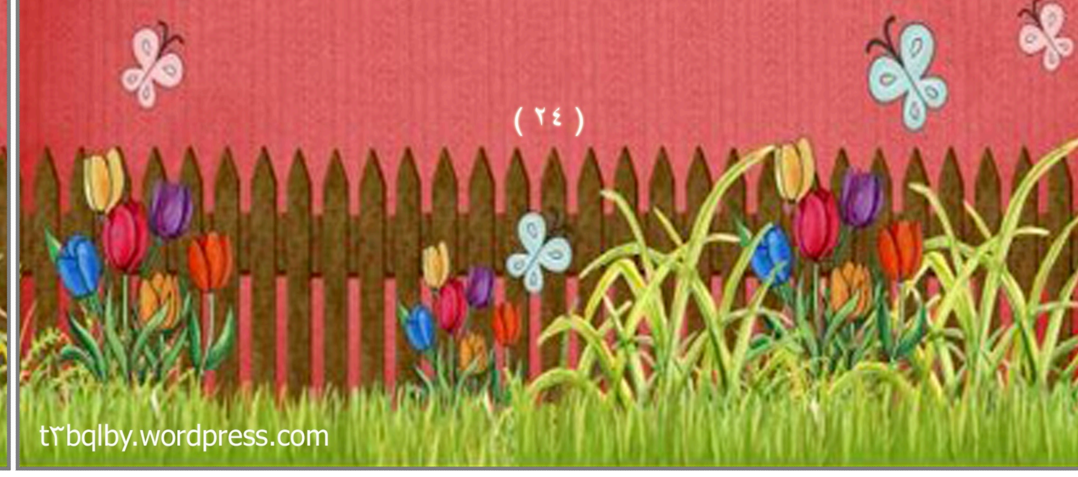
١٠٢) للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف .

١٠٣)اعلم أن النعَم كلها من الله وحده، نعَم الطاعات ونعَم اللذات فترغب إليه أن يلهمك ذكرها ويوزعك شكرها، قال تعالى:« وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون» سورة النحل:٥٣

وقال: «فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون» الأعراف:٦٩

وكما أن تلك النعم منه ومن مجرد فضله فذكرها وشكرها لاينال إلا بتوفيقه.

١٠٤) سأل رجل الشافعي فقال : يا أبا عبد الله ، أيما أفضل للرجل أن يمكّن أو يُبتلى ؟ فقال الشافعي : لا يمكّن حتى يُبتلى, فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فلما صبروا مكنهم ، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة .

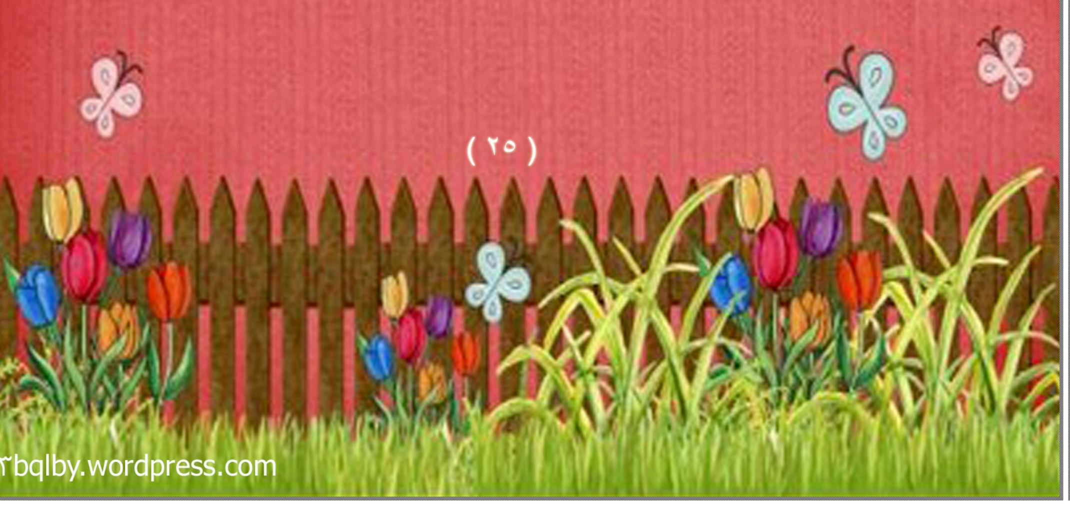


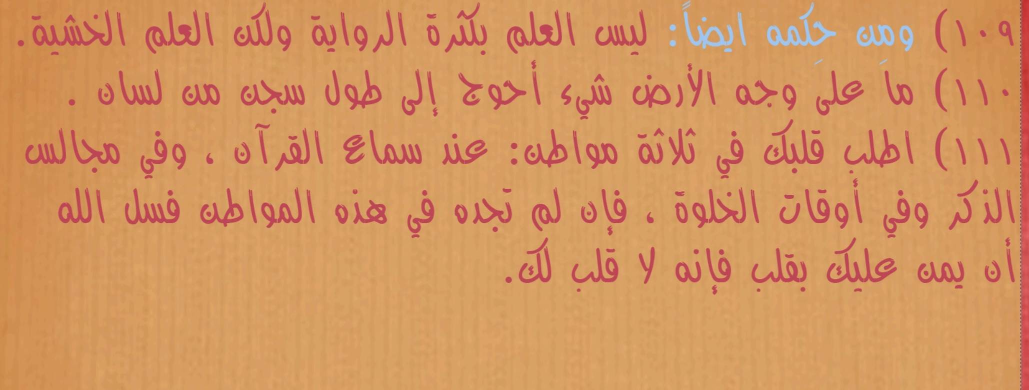
١٠٥) الغيّ إتباع هوى النفس ، وما زال السلف معترفين بذلك كقول أبي بكر وعمر وابن مسعود : أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه.

١٠٦) من حكَم عبدالله بن مسعود -رضيَ الله عنه- : ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حكيماً حليماً سكيناً. ولاينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولاغافلاً ولاسخّاباً-كثيرالصخب- ولا صيّاحاً ولا حديداً.

١٠٧) قال رجل عند عبدالله ابن مسعود -رضي الله عنه - :ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين ، أحب أن أكون من المقربين, فقال عبدالله: لكن ههنا رجل ودَّ أنه إذا مات لم يبعث ؛ يعني نفسه.

١٠٨) من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً.





١٠٩) ومن حِكمه ايضاً: ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية.

١١٠) ما علىَ وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان .

١١١) اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن ، وفي مجالس الذكر وفي أوقات الخلوة ، فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك.



[و في الختام]

نأمل أن نكون قد ساهمنا ولو بجهد المقلّ في خدمة هذا الكتاب فإن كان ذاك فالحمدلله على نعمه و إلاّ فحسبنا أنّا حاولنا والله من وراء القصد.

